تجليات القدس في شعر وديع البستاني

أ.م.د. ناهدة أحمد الكسواني

جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Jerusalem in the poetry of Wadih al - Bustani

Ass.Prof.Dr. Naheda Ahmad Hussein Kiswani
Al Quds Open University / Palestine
abdalrouf.jarrar@gmail.com

Abstract:

This research consists of four main aspects: the first is entitled "before the words". The researcher provides in it a brief glance on Jerusalem and the Zionist in the modern era. The second section talks about the life of the poet Wadih Al Bustani. In the third section I talked about Wadih Al Bustani's opinion on the British mandate and the intentions of Britain for a real national homeland for the Jews in Jerusalem and Palestine. The last section of the research revolves around Wadih Al Bustani calling for Arab unity and the need for the Christian and Muslims Palestinians to work together against the Zionists in Jerusalem.

Jerusalem is the most city that had this political and strategic interest, historical and literary. And that's because of its historical value in the wars and conflicts in the region and its value in holy religions. This important value was reflected on Arabic poetry. Moreover, it is rare to find any Arab poet who didn't write poetry talking about Jerusalem and Palestine.

Suliman Gibran says about Wadih Al Bustani: "He was born in Lebanon, but he is Palestinian in his affiliation. He was born Christian but lived in a Muslim environment and culture. And the most important thing in his life is his poetry ". Wadih Al Bustani was the first one who was against the British- Zionist mandate.

Wadih Al Bustani's poetry was about the political struggle in Palestine and was filled with a national passionate sense. He fought for the Palestinian struggle through his pen and his words

الملخص

يتألف هذا البحث من أربعة محاور: الأول بعنوان "ما قبل الكلام" تقدّم فيه الباحثة لمحة مختصرة عن مسألة القدس وأطماع الصهاينة فيها في العصر الحديث، وتناولت في المقطع الثاني نبذة عن حياة الشاعر وديع البستاني. وفي المقطع الثالث تحدثت عن نظرة وديع البستاني إلى الانتداب البريطاني والنوايا البريطانية الحقيقية بالنسبة للوطن القومي لليهود واستشرافه للخطر الصهيوني على فلسطين والقدس، ليتوقف البحث في المقطع الأخير عند دعوة وديع البستاني إلى ضرورة الوحدة العربية وضرورة تكاتف الفلسطينيين من مسيحيين ومسلمين ضد أطماع الصهاينة في القدس ومحاولتهم زرع الفتنة بينهم.

بداية نستطيع القول انه لم تحظَ مدينة من المدن في التاريخ العربي بما حظيت به مدينة القدس من اهتمام سياسي واستراتيجي وتاريخي وأدبي. وذلك نظراً لما كانت عليه من قيمة تاريخية ومحورية في الحروب والصراعات في المنطقة.. ومكانتها في الديانات السماوية .وانعكس هذا على الشعر العربي، حيث اتخذت القدس في القصيدة العربية أبعاداً مختلفة: دينية، وسياسية، وتاريخية، ووطنية، وقومية، وروحية وجدانية. وندر أن تجد شاعراً عربياً لم ينشد لفلسطين والقدس شعراً يصور نكباتها، أو يدعو لتحريرها، أو يحيي بطولات شعبها، أو يتتبع أحداث تاريخها. فقد مثلت مكونا أساسيا من مكونات الذات العربية

وشاعرنا الكبير وديع البستاني لم يكن بعيداً عن كل هذا، وهو ليس فقط كما يقول عنه سليمان جبران: "لبناني المولد فلسطيني التوطّن" "بل إنّه أيضا مسيحيّ المولد والنشأة مسلم البيئة والثقافة، مسكون بالرابط القومي الوطني؛ الرابط الأول والأهم في حياته وشعره. هذا هو الشاعر وديع البستاني: شاعر لبناني–فلسطيني، مسيحي–مسلم، أوّل مَن تصدّى للتحدّي الانتدابي–الصهيوني في فلسطين. كرّس شعرَه وحياته للدفاع عن القضيّة الفلسطينيّة طوال فترة الانتداب،

واللافت أن نضاله السياسي قد اقترن بعطائه الشعري، بث من خلال قصائده صرخات وطنية حماسية بحس عروبي عبر فيها عن توجهاته النضالية، في ديوانه الموسوم بديوان "الفلسطينيات" الذي وصف: بأنه ديوان بلبل الأرز الشادي الذي غنى لفلسطين وعاش لها، ونبض بحبها قلبه وفاضت بإنشادها شاعريته، وواكب نضال شعبها، وسجل بطولاته وثوراته شعرًا ونثرًا."

وترك لنا أثرا عن عشقه لفلسطين والقدس وأهلها لن تزيله الأيام... ناضل من أجلها بقلمه ولسانه، وشعر بحسرة شديدة يوم نكبتها، لم يغادرها مع من رحل من أهلها، آثر البقاء في بيته بعد احتلال حيفا، بقي فيه عرضة لضغوط الاحتلال خمس سنوات قبل أن يرحل الى بيروت... تألم عند مغادرته حيفا التي أحبها بكل جوانحه طيلة عمره. واقتضت خطة البحث اعتماد المنهج الوصفي التحليلي.

المقدمة:

الحياة السياسية في القدس قبل الانتداب وبعده القدس من أقدم المدن التي عرفها التاريخ، وهي مدينة مقدّسة عند أصحاب الديانات السماوية من جهة، وبؤابة واسعة للقارات الثلاث: آسية وإفريقية وأوروبة من جهة أخرى، ومن هنا استرعت اهتمام الغزاة والفاتحين فتعرّضت في تاريخها الطويل إلى ما لم تتعرض له أيّ مدينة أخرى في بقاع المعمورة نظراً إلى موقعها الجغرافي ومكانتها عند الأمم. وعاثت في مقدساتها أيدي الهدم والدمار بفعل قوى غاشمة: آشورية وبابلية وفارسية، وأخرى إغريقية ورومانية وبيزنطية قبل الميلاد وبعده.

ويعود تاريخ القدس إلى أكثر من ستة آلاف سنة عندما حلّ اليبوسيون في المنطقة الجبلية التي تقع عليها القدس حالياً، واليبوسيون هم فرع من القبائل الكنعانية العربية، وهم الذين أسسوا القدس لأول مرة في التاريخ حوالي سنة ٤٠٠٠ ق.م بعد أن أقاموا في مكانها وفيما حولها مدة من الزمن. وقد كانت أرض مدينة القدس قديماً صحراء بين أودية وجبال، وهي خالية لا بناء فيها ولا عمارة، فأول من بناها واختطها ملك اليبوسيين وكان يلقب بمليك صادق.(العامري، ١٩٧٤، ٨٣ –٨٨)

والمتتبع لتاريخ القدس منذ نشأتها يستطيع الاستنتاج أنها مدينة عربية أسسها العرب، وازدهرت في العهد الإسلامي، فهي بحكم التأسيس والبناء والتاريخ مدينة عربية إسلامية، فالعرب هم الذين أسسوها وبنوها وعمروها وامتلكوها إلى أن جاء الاحتلال الإسرائيلي للقدس الغربية عام ١٩٨٤ وللقدس الشرقية عام ١٩٦٧. فتاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وعروبتها، وقد طمع فيها اليهود ومن قبلهم الصليبيون؛ لأهميتها الدينية والسياسية والتجارية.

لقد كانت القدس لفترة طويلة تحت الحكم العثماني حتى عام ١٩١٧ عندما انسحب الأتراك من القدس. وتسلمها البريطانيون، لكن لوعدنا إلى الوراء قليلاً نجد أن تدخل بريطانيا في فلسطين بدأ قبل ذلك. فقد تدخلت في فلسطين باسم حماية اليهود واستيطانهم فيها، لحماية قناة السويس وخدمة مصالحها في المنطقة. فقد أنشأ اللورد بالمرستون قنصلية بريطانية في القدس عام ١٨٣٨ لتأييد أماني اليهود في فلسطين وإقامة وطن لليهود فيها بحماية بريطانيا.

ووضعت بريطانيا عام ١٩٠٥ تقرير كامبل لتجزئة الوطن العربي وعرقلة تقدمه والمحافظة على تخلفه وإقامة "إسرائيل" لمنع الوحدة العربية والمحافظة على المصالح الاستعمارية. فقد أصدرت عام ١٩١٧ وعد بلفور، واحتل الجنرال اللنبي القدس في كانون أول ١٩١٧، بعد أن تحالفت تركيا مع ألمانيا ضد بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، وقد كان استيلاء بريطانيا على فلسطين بداية المأساة التي نعيش تحت وطأتها اليوم. فقد استطاع الجنرال اللنبي دخول القدس، بعد محاصرته للقوة التركية المدافعة عن المدينة، والتي أصبحت تعاني نقصاً في المؤن والذخيرة بعد احتلال بريطانيا لعدد من الأحياء والقرى الملاصقة للمدينة، وعندما أيقن الأتراك أنهم خسروا المعركة وأن القدس لا محالة واقعة بيد الإنجليز، اجتمع المتصرف التركي عزت بك بعدد من أعيان المدينة وأخبرهم بحقيقة الأمر، وحملهم وثيقة الاستسلام ليقوموا بدورهم بتسليمها للإنجليز. وفعلاً فقد قام رئيس بلدية القدس حسين سليم الحسيني وابن أخيه توفيق صالح الحسيني ومفتش الشرطة عبد القادر العلمي وأحمد شريف بتسليم الوثيقة لقائد الفرقة البريطاني. وقام على أثرها الجيش الإنجليزي بدخول القدس. (العارف، ١٩٩٩، ٣٨٤)

وكان قرار الحلفاء بانتداب دولة فلسطين وإدماج وعد بلفور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في صك الانتداب قد تلاه الجنرال بولز في ٢٠ شباط من عام ١٩٢٠ في اجتماع عقده في القدس وحضره أعيان البلاد ورؤساء الطوائف. وبعد هذا التصريح بأسبوع واحد قامت في القدس مظاهرة كبرى اشترك فيها نحو ١٤٠ ألف شخص يتقدمهم موسى كاظم الحسيني عرجوا في طريقهم على جميع دور القناصل الأجنبية، وسلموها احتجاجهم على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود فكانت أول مظاهرة سياسية كبرى حصلت في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني. (الدباغ، ٢٤١ –٢٤٢) وتوالت الأحداث بين اليهود والعرب، ففي ٤ نيسان سنة ١٩٢٠ حدثت مواجهات بين الطرفين أثناء الاحتفال بموسم النبي موسى، حيث وكما جرت العادة في كل سنة استقبل المقدسيون أهل الخليل القادمين لزيارة مقام النبي موسى، وخطب عدد من المتحمسين وكان على رأسهم رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني فمر عدد من اليهود فهاجت الأفكار واحتدمت نيران الفتنة بين الطرفين، فقتل منهما عدد ليس بالقليل. وفي اليوم التالي ظل إطلاق الرصاص مستمراً، فأعلنت الأحكام العرفية وحظرت حكومة الانتداب على الناس الخروج من بيوتهم بعد السادسة وأضربت المدينة. وقد أسفرت الاضطرابات عن مقتل خمسة من اليهود واستشهاد أربعة من العرب. هذا عدا عن الجرحى وحكمت المحكمة التي تألفت بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة حكماً غيابياً على عارف العارف وأمين الحسيني، وحكمت على آخرين بالسجن مدة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات. كما وأقالت موسى كاظم الحسيني من رئاسة بلدية القدس. (الدباغ، ١٩، ٢٤٨ – ٢٤٩) (السفري، ١٩، ٤٧ –٤٨ \ ٦٨) (الغوري، ١٩٧٣،

وفي شهر أيلول سنة ١٩٢٥ ادعى اليهود أن البراق والذي يسمونه حائط المبكى هو من بقايا هيكلهم القديم وأنه من مقدساتهم، وأن لهم الحق في الوصول إليه والوقوف عنده ليذكروا مجدهم القديم، وادعوا أن لهم الحق في جلب الكراسي والمقاعد والستائر معهم واستعمال هذه الأدوات أثناء تعبدهم وبكائهم هناك. وعارضهم المسلمون في هذا الادعاء قائلين أنه لا يحق لليهود أن يجلبوا الكراسي والمقاعد والستائر أو أية أداة أخرى من الأدوات التي تجعل المرء يعتقد أن المكان هو ملك لهم، وإن كانوا لا يمانعون في وصول اليهود إلى ذلك المكان، والبكاء عنده وعليهم أن يعودوا بعد ذلك إلى حيث كانوا، وأيدت الحكومة البريطانية رأي العرب، لكن النزاع تجدد بعد فترة، وذلك عندما رأى اليهود أن عددهم في البلاد قد ازداد بسبب التسهيلات التي منحتهم إياها الحكومة للهجرة، فازدادوا جرأة أيضاً، وراحوا يطالبون بإلغاء القرار السابق الذي أصدرته الحكومة في أيلول ١٩٢٥ التي أيدت الوضع الراهن، فحملوا معهم عندما زاروا حائط المبكى في عيد الغفران بعض الأدوات التي منعوا في السابق من جلبها، ومنها ستار وضعوه على الرصيف، وكان ذلك في التاسع من آب سنة ١٩٢٨، وقد اعتبر الموظف المسؤول عن الأمن في تلك المنطقة عمل اليهود هذا تحدياً لأوامر الحكومة، ورفع الستار بالقوة لأن وضعه هناك من المحدثات التي تثير ثائرة المسلمين. (السفري، ، ١٢٢) (العارف، ١٩، ٤٠٠ \ ٤٠١)

وإثر ذلك طلب المندوب السامي من مفتي فلسطين ومن حاخام اليهود تقديم إثباتات عن ملكية الحائط، فقدم المفتي وثائق تثبت ملكية الحائط للمسلمين في حين لم يستطع الحاخام تقديم إثباتات لعدم وجود وثائق عندهم، لكن الحكومة رغم ذلك لم تحرك ساكناً فعقد مؤتمر إسلامي طالب حكومة الانتداب بمنحهم حق تقرير المصير والعمل على مقاومة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع بيع الأراضي العربية لليهود، ومنع إحداث أي تغيير في الواقع الموجود في البراق. لكن حكومة الانتداب لم تفعل شيئاً سوى تعيين لجنة تحقيق سميت (لجنة البراق) التي رفعت تقريرها القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن.

ونتيجة للاستفزازات اليهودية بحق العرب وعدم استجابة الحكومة لمطالب العرب، ثار الفلسطينيون، ونشبت اضطرابات عنيفة في مدن القدس والخليل وصفد ويافا. وقمعت الحكومة الثورة وقبضت على الكثير من الفلسطينيين وزجت بهم في السجن، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة العرب وأصدرت حكماً بالإعدام على ثلاثة منهم هم فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم. ونفذ حكم الإعدام فيهم وحكمت على البقية بالسجن سنوات مختلفة. أما اليهود فقد حكمت على يهودي بالإعدام الذي خفف فيما بعد إلى السجن عشر سنوات، قضى بعضها في السجن ثم أطلق سراحه.) زعيتر، ١٩٦٥، ٧٨) (الدباغ، ٢٦٤ – ٢٦٧)

ومع ازدياد هجرة اليهود إلى فلسطين، أصبح الجو العام مهيأً لصدام بين أصحاب الأرض وبين المغتصبين القادمين، فقررت حكومة الانتداب إيفاد لجنة إلى فلسطين – أطلق عليها اسم لجنة شو – للتحقيق في أحداث البراق، والتي أوصت بضرورة تحديد الهجرة اليهودية ومراقبتها بسبب خوف العرب، وبضرورة تنظيم الأراضي وعدم تحويلها أو بيعها، وإدخال أساليب جديدة لمساعدة الفلاح الفلسطيني وإرسال لجنة لدراسة أوضاع الأراضي، وضرورة إعطاء الفلسطينيين حكماً ذاتياً. وأما بالنسبة لحائط البراق فأثبتت اللجنة ملكيته للمسلمين. (جبارة، ١٩٨٥، ٨٨) لكن الحكومة البريطانية لم تأخذ بالتوصيات رغم ذهاب وفد إلى بريطانيا لشرح وجهة نظر الفلسطينيين والتي باءت مهمته بالفشل. وأثر ذلك عقد المؤتمر الإسلامي الأول في عام ١٩٣١ في القدس. وخرج بعدد من التوصيات، وبانتخاب لجنة تنفيذية وإقامة فروع لها في مختلف أنحاء العالم الاسلامي. (الكيالي، ١٩٧٣، ٢٦٨)

لكن الأمور ازدادت سوءاً فقد تزايد أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، بتشجيع ودعم من حكومة الانتداب إضافة إلى استشهاد القائد المجاهد القسام مما مهد الطريق لحدوث إضراب ١٩٣٦ ضد الإنجليز. ونشبت الثورة ضد الإنجليز واستشهد عدد كبير من الفلسطينيين، وأثر ذلك أرسلت بريطانيا لجنة ملكية هي لجنة (بيل) لدراسة الأوضاع في فلسطين، واقترحت اللجنة تقسيم فلسطين إلى دولتين: الأولى دولة عربية والأخرى يهودية، أما القدس فتظل تحت الانتداب. وبالطبع فإن أصحاب الحق رفضوا اقتراح تلك اللجنة واندلعت نيران الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٧-١٩٣٩.(النتشة، ١٩٨٤، ٧٣-٨٢)

وبالمناسبة فقد دعا رئيس اللجنة العربية العليا الفلسطيني الحاج أمين الحسيني إلى مقاطعة لجنة بيل. وقد ساهمت عوامل عدة في ازدياد لهيب الثورة من أهمها: نفي زعماء فلسطين إلى جزيرة سيشل، وتجريد الحاج أمين من وظائفه وخروجه من فلسطين، واغتيال حاكم الجليل الإنجليزي المستر اندروس، ونشاط إخوان القسام لا سيما بعد استشهاد عز الدين القسام، وشبح التقسيم الذي أعلنته بريطانيا على فلسطين. كل هذه العوامل ساهمت في ازدياد حدة المظاهرات ضد الإنجليز وانتشار الثوار في الجبال. (ياسين، ١٩٧٦، ١٣٨)

وحاولت بريطانيا إخماد نار الثورة لأن الحرب العالمية الثانية كانت على الأبواب لذا بادرت إلى عقد مؤتمر في لندن في ٧ شباط ١٩٣٩ ودعت إليه كلاً من اليهود والعرب، لكن المؤتمر فشل في الوصول إلى حل يرضي أياً منهم. ونشرت بعد انتهاء عقد المؤتمر بيانها في شكل كتاب أبيض في ١٧ أيار ١٩٣٩، وقد ذكرت فيه مطالب الفريقين والحجج التي يستند إليها كل منهما، وأبدت رغبتها في قيام دولة فلسطينية يشترك فيها العرب واليهود. (العارف، ، ٤١٨) لكن هذه القرارات لم تلق قبولاً من قبل العرب واليهود.

وبقيت القدس تحت الإدارة البريطانية الاستعمارية حتى سنة ١٩٤٨ حيث كان انتهاء الساعة الثانية عشرة من مساء يوم الجمعة ١٤ أيار حداً فاصلاً في تاريخ فلسطين الحديث، فقد انتهى الانتداب البريطاني الحافل بالمآسي وبدأ عهد جديد يحيط به الغموض وتكتنفه التوقعات، وذلك حينما أعلنت بريطانيا انسحابها من فلسطين بعد أن أطمأنت على تسليح جيش اليهود وسلمتهم الإدارة الحكومية هناك. وراح اليهود المدعمون بأسلحة حديثة من مختلف دول أوروبا وأميركا يحملون هذا السلاح في قتل العرب، وهدم قراهم ومدنهم، وقاموا بمذبحة شنيعة في بلدة دير ياسين، معتمدين بث الذعر والخوف في القلوب، وما لبثوا أن أجلوا السكان العرب عن طبريا وحيفا ويافا وغيرها من المدن والقرى. (في نكبة فلسطين، ١٩٧٥، ٣٣) فاضطر النازحون إلى الالتجاء إلى أماكن آمنة في فلسطين، والى البلدان العربية المجاورة وأنشأ اليهود دولتهم. ودخلت فلسطين سبعة جيوش عربية لنجدة الشعب الفلسطيني لكنها لم تستطع أن تحمي فلسطين أو تستعيد شيئاً منها ووقعت معظمها في قبضتهم، وكانت القدس من تلك المدن التي سقطت ولم يبق منها إلا القسم الشرقي الذي ما لبث أن استولى عليه الصهاينة سنة ١٩٦٧. (العابدي، ١٩٧٢، ١٧٧ – ٢١٧)

ومنذ ذلك الحين والصهيونية تمارس جرائمها البشعة وتعمل جاهدة على تهويد القدس وطمس معالمها العربية، فقد وضعت يدها على ما تبقى لعرب القدس الغائبين من أرض وأملاك، وأعلنت إخضاعها التعليم في المدارس الحكومية لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس العربية، كما أغلقت البنوك العربية الموجودة في القدس واستبدلت العملة الأردنية بإسرائيلية وأغلقت جميع المحاكم النظامية

وغيّرت الكثير من الأسماء والمواقع وقامت أيضاً بهدم حي المغاربة الإسلامية في القدس وتوسيع الساحة الواقعة أمام حائط البراق الذي استولوا عليه كاملاً وأصبح معبداً لهم.(العايدي، ١٩٧٢، ١٧٧ – ٢١٧)

ثانيا: تجليات القدس في شعر وديع البستاني

بناء على ما سبق، استحضر الشعراء الفلسطينيون مدينة القدس، للتعبير عن علاقتهم الروحية والتاريخية بها، وأعادوا صياغتها وفق رؤيا جديدة، جسدت صورة من صور الهوية ومقاومة الاحتلال، لكن لا بد من الإشارة إلى أن بعض الأشعار التي قيلت في الفترة الزمنية التي حددناها لم تشر صراحة إلى القدس باسمها لكننا لا ننسى أن القدس هي جزء من فلسطين. والأحداث التي مرت بها فلسطين لم تمر بها القدس وحدها.

وهذه الأوضاع الجديدة على فلسطين أدت بالشاعر الفلسطيني إلى تفهم "الواقع الذي يجري في بلاده، ويعيه تماماً، واستطاع أن يحدد القضية الأولى من قضاياه، ألا وهي قضية ذلك الوافد الجديد إلى بلاده ووطنه والتعرف على أهدافه ومراميه وأطماعه، وأساليبه في تحقيق تلك الأهداف، وإيقاظ الشعب من غفلته التي كانت تجتمع على قلبه لتوقظ الحس الوطني القومي في نفسه وينبهه إلى حجم الأخطار المحدقة به. فقد جدت موضوعات جديدة في ديوان الشعر الفلسطيني كالانتداب البريطاني ووعد بلفور والوطن القومي اليهودي في فلسطين، والخطر الصهيوني وتعاون الاستعمار البريطاني مع الصهاينة، وبيع الأراضي لليهود، ودور السماسرة والدلالين في ذلك، والتنبيه على دور الأرض وضرورة الحفاظ عليها وعدم بيعها، وغيرها من الموضوعات. (أبوشاور، ٢٠٠٣، ١٥٥)

وكما هو معلوم فقد ظهر في سماء هذا الوطن سحاب قاتم من صنع الاستعمار الأوروبي ويحس الشعر بهذا السحاب، ويشعر بما يحمل في طياته من خراب ومن نوايا تدميرية وتتحول تلك الأبواب الشعرية ذات الأغراض السياسية إلى أغراض حماسية ومن ثم تندمج كلها وتحمل طابع الوطنيات فيها الوعي العقلي والمنطقي الايجابي والحجة القوية وفيها صقلة الوجدان السليم. ويتاح لفلسطين شاعر خصيب الوجدان، يقظ العقل، واعي الضمير يتصل بحياة هذه البلاد السياسية اتصالا وثيقا يخبر خفاياها فلا يبخل على أهلها بالتوعية والتحذير وقد اتصل بالقضية العربية الفلسطينية الدامية منذ شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٧، وهو الشهر الذي في ثانيه المشؤوم صدر التصريح البغيض المنسوب إلى بلفور وعدا بالوطن القومي لليهود منطويا على دولة يهودية. هذا الشاعر هو الشاعر اللبناني وديع البستاني الذي كان يجيد كثيرا من اللغات، وقد تخرج من الجامعة الاميركية ونال اجازتها في العلوم والآداب سنة ١٩٠٧ ودرس العربية والفرنسية في الجامعة نفسها سنتين. واستقال ليتولى امانة الترجمة للقنصلية البريطانية في اواخر سنة ١٩٠٩، وفي سنة ١٩١٧ عين مساعدا مدنيا للكولونيل باركر وكان اول واكبر موظف مدني في حكومة فلسطين. وانتهت خدماته ١٩٣٠ بعد صراع طويل في مقاومة الصهيونية. وكان المؤسس للجمعية الاسلامية المسيحية التي عرفت فيما بعد باسم اللجنة العربية التنفيذية للمؤتمرات العربية إلى أن قامت ثورة ١٩٣٧ – ١٩٤٠ فحلت محلها اللجنة العربية العليا وكان وديع من أعضاء اللجنة التنفيذية حتى سنة ١٩٣٤. وقد كان عضوا وسكرتيرا للوفد العربي الفلسطيني الثالث إلى لندن سنة ١٩٣٧ وهو الوفد الذي كانت مهمته الحيلولة دون ابرام المعاهدة الانكليزية العربية. (ياغي، ١٩٨١، ١٧٤ – ١٧٥) وعندما احتل الصهاينة مدينة "حيفا" في نيسان (ابريل) ١٩٤٨م رفض البستاني مغادرة بيته وأصر على البقاء في فلسطين، رغم احتلال جماعة من عصابة الهاغانا اليهودية داره، لكنه اضطّر في النهاية إلى الرحيل، فعاد عام ١٩٥٣م إلى وطنه الأول لبنان.

ويعد وديع البستاني والذي سمّى ديوانه «ديوان الفلسطينيات»، من أكثر الشعراء الذين كتبوا قصائد عن (فلسطين) القدس وما يتصل بها، سواء أكانت تتعلق بالجانب الديني أم غيره من الجوانب الشعرية الأخرى. فهو ليس فقط "لبناني المولد فلسطيني التوطّن"، "بل إنّه أيضا مسيحيّ المولد والنشأة مسلم البيئة والثقافة، لا يلتفت إلى الرّابط الديني بينه وبين الإنجليز، إذ هو مسكون بالرابط القومي الوطني؛ الرابط الأول والأهم في حياته وشعره. تميزت شخصيته بالشفافية والحب الصادق لفلسطين، وبذل كل ما يمكن ان يبذله في سبيل فلسطين شعبا وأرضا. ويعتبر من أوائل من تصدوا للانتداب البريطاني على فلسطين بالمظاهرات والاعتصام والنشاطات السياسية .وهو من أوائل من رسم خطوط الوحدة الوطنية الاسلامية . المسيحية ودعا إلى تحصينها وتقوية دعائمها. حَرّكَت القضية

الفلسطينية بكل مراحلها مشاعره وذهنه، وجعلته يفرغ جل وقته من أجل خدمة هذه القضية، خاصة كل ما له علاقة بالأرض. ويعبر عن حبه لفلسطين في تقديمه لديوانه ببيت الشعر التالي:

ومن ورائي فلسطين أعيش لها حتى أموت وفي عيني لبنان

ويناجي في ديوانه حبيبته فلسطين، :

وجب الحب، وقَلبي وَجَبا يا بلادي وقَضى ما وَجَبا

أين ليلى؟! فأنا مجنونها وشبابي في هواها ذَهبا

وفي لوحة أخرى يرى فلسطين بمنظاره وطن العرب كلهم، والكوكب الارضي:

يا فلسطينُ بلادَ الله يا كوكبًا شَرَف هذا الكوكبا

ومن أهم قصائده التي نظمها في إطار ديني قصيدة «تحية العلم»، التي تحدث فيها عن أرض فلسطين المقدسّة، مؤكداً على قدسية المدينة ومكانتها بين أصحاب الدياتات الثلاث، وعلى ضرورة عدم التفريط بها مهما بلغت المغريات، يقول: (البستاني، ١٩٤٦)

أرض توطأها عيسى وشرّفها ومات موسى إليها ناظراً أمماً

أرض محمد وافى بيت مقدسها ومن عُلاه إلى رب السماء سما

فقدسوها ولا تبتغوا بها ثمناً نجساً فبائعها شارٍ بها الندما

لقد كان وديع البستاني شاعرا وطنيا متنوع الاتجاهات ومتعدد القدرات، أخلص جل شعره للقضية الفلسطينية، ومسجلا لحوادثها وأحداثها، و مباركا الكفاح من أجلها، و مؤججا الهمم باللغة ومفرداتها، وله قصائد وجدانية ذاتية، عبر فيها عن مشاعره وأحاسيسه في الحب والإخاء بين المسلمين والمسيحيين، إلا أنها لم تخل من حسه الوطني والإشارة الي الوحدة العربية ومحاربة المستعمر. وفي شعره اهتمام بالتراث العربي، وكما اهتم كثيرا بالوحدة الوطنية وشدد البستاني على ضرورة التمسك بالوحدة الوطنية و حث على قاعدة الانتماء الى العروبة اولا وأخيرا. وحث الفلسطينيين على التمسك بوحدتهم كمسلمين عرب ومسيحيين عرب. وكتب عدة قصائد دعا من خلالها إلى هذه الوحدة، وأمن أنه بدونها سيفرط عقد الفلسطينيين، وان الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية تسعيان إلى شق صفوف الفلسطينيين ببث روح الطائفية ونشر بذور الشقاق واتباع سياسة فرق تسد، وكل ذلك من اجل تضافر الجهود الفلسطينية الموحدة في سبيل الدفاع عن فلسطين. وشارك في عدد كبير من المظاهرات وكان في طليعة المنظمين لها، على أن وحدة الفلسطينيين هي الكفيلة بالحفاظ على الوطن.(الفحل، ٢٠١٤، ٧٩) وكثيرا ما وجه كلامه بشكل خاص إلى المسيحيين، أن الانجليز لا يقيمون للدين قيمة في مشاريعهم الاستعمارية، وفلسطين ضمن المخطط الاستعماري البريطاني مخصصة لإقامة الوطن القومي اليهودي، ولن يكون للعرب عامه بمن فيهم المسيحيين العرب تفضيل على غيرهم، وهذا ما جرى فعليا على أرض الواقع (الفحل، ٢٠١٤، ٨٠) ولهذا يدعوهم إلى مزيد من التمسك بعروبتهم وانتمائهم إلى قوميتهم لكونها الضمانة الوحيدة لبقائهم.

فقد حركت القضية الفلسطينية بكل مراحلها مشاعره وذهنه، وجعلته يفرغ جل وقته من اجل خدمة هذه القضية، خاصة كل ماله علاقة بالأرض. فخلال فترة الانتداب البريطاني تعرض الفلسطينيون الى أبشع مشاهد سلب الاراضي ونهبها على يد سلسلة من القوانين المجحفة التي اصدرتها الحكومة البريطانية المنتدبة وقيامها بتحويل مساحات شاسعه من هذه الاراضي لصالح المؤسسات الاستيطانية الصهيونية .وبدأت تظهر ملامح التطهير العرقي والتهجير لشرائح واسعة من الفلسطينيين في عدد من المناطق الاستراتيجية كوادي الحوارث وأراضي الجفتلك في غور بيسان، وتمكن من انقاذ بضعة ألاف من الدونمات بعد أن بذل جهودا كبيرة مع عدد من زملائه المحامين والسياسيين. ونبه الزعماء العرب من ملوك وامراء إلى مخاطر التعامل مع الانجليز والحركة الصهيونية، وعبر عن ذلك من خلال قصائد كثيرة نشرها في الصحف المحلية أو ألقاها في عدة مناسبات وطنية.

ومن أهم القضايا التي أثارها في شعره حول القدس:

أولا: الانتداب البريطاني:

القضية الأولى التي أثارها وديع البستاني في شعره وبقوة، هي الانتداب البريطاني، وما جره من ويلات على الشعب الفلسطيني نتيجة دعمه للسياسة الصهيونية في فلسطين، والتشجيع على تهويد مدينة القدس. حيث كانت السلطات البريطانية تتغاضى عن نشاط اليهود، الذين كانوا يعملون على إدخال يهود العالم إلى فلسطين، وامتلاك الأراضي العربية.

وقف وديع البستاني مبهوتا ازاء ما يرى من اعتداء على البلاد وإزاء ما يحل بفلسطين، مبينا خيبة أمله بالانجليز الذين غدروا بالعرب ويعملون على تمكين اليهود من السيطرة على فلسطين، وينبه الى حقيقة الانجليز (البستاني، ١٩٤٦، ١٤٩):

يشتكي قومي من يوم أتى بعد أمن لما طابا ذهبا

أنكروا السيد فيهم حاكما فأتاهم حاكما منتدبا

ويعلن أن الانتداب كالجرب يفتك بالشعب الفلسطيني وبأرضه لذا لا بد من الوقوف بوجهه حتى نقضي عليه بالوحدة والثبات: (البستاني، ٢٣٨)

الانتدابات يا جيراننا جرب وقاكم الله لا يفتك بنا الجربا

وفي قصيدته "لا وصاية ولا انتداب ولا انتخاب" يستنكر وديع البستاني الانتداب البريطاني على فلسطين، المغتصب لأرضها وشعبها. لم توف بريطانيا بالوعود التي قطعتها للعرب فبدل الحرية فرضت الانتداب (أبو شاور، ٢٠٠٣، ١١٤) يقول: (البستاني، ١٥٣):

وأنكَرنا وصايتَهم علينا وقد جعلوا بوادرها اغتصابا

ولم نندبهم للأمر فينا وقد حكَموا وسمّوه انتدابا

ومنّوا أنهم قد حررونا إذا ملّكونا المرافقَ والرّقابا

أتونا يحملون لهم وطاباً ولكن بئس ما ملأوا الوطابا

فالانتداب البريطاني وأفعاله المسيئة للشعب الفلسطيني، ودعمه المستمر لليهود دفعت الشاعر وديع البستاني الى مخاطبة المندوب السامي البريطاني في قصيدة " صوت الشعب "، وذلك في عام ١٩٢٥م، قائلا (البستاني، ١٦٨، ١٦٩):

يريد المارشال صلاة شكر ليهنئه انتداب واحتلال

أقد حررتها قدسا؟ وممن؟ ومن ذا حطَ لمَا قيل شالوا؟

أتحرير وسيفك فوق رأسي لعمرك إنَه القول المحال

فقد خاطب الشاعر في هذه الأبيات المارشال اللورد بلومر– بعد الاحتلال البريطاني للقدس بفترة وجيزة – الذي دعا الشعب الفلسطيني الى الاحتفال والصلاة من أجل تحرير القدس، وهذه الدعوة أدت الى استهجان واستنكار الشعب الفلسطيني.فالشاعر يكشف أن الوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب كانت جميعها خدعاً حتى تستولي على فلسطين لتسلمها فيما بعد لليهود. فقد خدع الفلسطينيون بالبريطانيين في البداية، فقد ظنوا أنهم سينالون حريتهم، لكن آمالهم خابت وتكشفت الحقائق.

ثانيا: الخطر اليهودي

والقضية الثانية التي شغلت بال وديع البستاني هي: اليهود وخدعهم، فهو يعدَ من اوائل الشعراء الذين تنبهوا إلى خطر الهجرة اليهودية الى فلسطين يقول: (البستاني، ١٩٤٦، ١٢٧)

حماك وقد يكون حمى كليب يخاف عليه من رجل الجراد

ونحن اليوم بين غد وأمس من السيل الملم ببطن واد

ويحذر من حلم اليهود اليهود في أرض الميعاد، وهي بالنسبة لهم دار الخلود، متناسين ان القدس دار الخلود للمسلمين والمسيحيين: (البستاني، ١٩٤٦، ٩٨)

وعد المسلمون مثل النصارى بعد دار الفناء دار الخلود
وفلسطين للهوى اتركوها فهي دار الخلود عند اليهود

ولمواجهة هذا الخطر يدعو الى السلاح فيقول (ياغي، ١٩٨١، ٢٣٠)

أحفاد يعرب نساك صوامعهم تاهت بها القمم الشماء والهضب
المهد والقبر والأقصى مقادسهم ولا مآذن تدعوهم ولا قبب
نودوا فلبوا ووحي النفس صائحهم وفي الضلوع قلوب للحمى تجب

وكما نعلم "كانت الصهيونية تقوم بكثير من المحاولات والأنشطة في فلسطين في محاولاتها لامتلاك الأراضي، ودفع المبالغ الطائلة في سبيل ذلك، بالإضافة إلى تسهيل حركة الانتداب لجميع عمليات انتقال الأراضي إلى اليهود وامتلاكها والعمل على تدفق أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين بالطرق المشروعة وغير المشروعة، حيث أن العنصر البشري في الفكر الصهيوني، عنصر مهم لتحقيق حلمهم في فلسطين، على الرغم من التحديد الرسمي لعدد اليهود الذين يجب أن يدخلوا إلى فلسطين شهرياً من قبل السلطات البريطانية، ذلك التحديد الذي لم يكن الصهاينة يتقيدون به، بل كانوا يعملون بشتى الوسائل وبغض النظر عن مشروعية تلك الوسائل أو عدم مشروعيتها، لإدخال عشرات الآلاف من اليهود إلى فلسطين. (أبو شاور، ١٠٨) فقد تدفق الآلاف من اليهود الى فلسطين ما بين ١٩١٨– ١٩٤٧ نتيجة تضافر مجموعة من الظروف التي خدمت الحركة الصهيونية. فمع تزايد أعمال العنف ضد اليهود في مختلف أنحاء أوروبا نتيجة للمد النازي، ازدادت هجرة اليهود من دول أوروبا إلى فلسطين وبتشجيع من سلطات الانتداب البريطاني، وهذا أدى إلى ارتفاع عدد السكان اليهود من عشرة آلاف نسمة عام ١٩١٨إلى نحو مائة ألف نسمة عام ١٩٤٨.

وفي الوقت نفسه تواصل إنشاء الضواحي الاستيطانية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من اليهود وخلال خمس سنوات منذ الاحتلال البريطاني وحتى عام ١٩٢٢م، بنيت عشرة أحياء يهودية جديدة حول القدس، واستثمرت الحركة الصهيونية هذا الوضع لاستغلاله مبرراً يتيح الادعاء بحقها في المدينة، حيث اعتبرت الحركة الصهيونية موضوع الثقل السكاني أحد المؤشرات والدلالات على علاقة اليهود بالمدينة. (أبو عرفة، ١٩٨٥، ٣٧ – ٣٨) وهذا المد الاستيطاني في فلسطين أثار شعراء فلسطين، وكان اليهود يخططون بدهاء ومكر لتثبيت وجودهم في فلسطين، ولذا فقد عملوا على إنشاء الجامعة العبرية بعيد الانتداب البريطاني على فلسطين، إذ أقاموا في الرابع والعشرين من تموز عام ألف وتسعمائة وثمانية عشر (١٩١٨) حفلة كبرى لوضع أساس الجامعة العبرية في القدس، وشارك في الاحتفال مطران الإنجليز "مكنس" ومفتي القدس الشيخ كامل الحسيني. فسأل الشاعر وديع البستاني سؤالاً بالشعر يطلب الجواب من المفتي، فجاءه الجواب بقلم شقيقه "الحاج أمين الحسيني" فنظم الشاعر الجواب أيضاً شعراً فكانت قصيدته "الفتوى (ياغي، ١٩٨١، ١٧٨) مكونة من السؤال والجواب: (البستاني، ١٩٤٦، ٢٣٨)

أفتني بالله بالحجر الأسود بالرُكْنِ الأغَرْ
إنْ عَلَت في عِزّها شامخةً فوق رأسِ الطور تلْهو بالعِبَر
وغَدَتْ جامعةً عبريةً ونهى الحاخامُ فيها وأمَرْ
أيقولَ الشيخُ والقسُّ اتئد إن للمُطرانِ والمفتي حجر

فجاءه الرد من أمين الحسيني نثرا، لكن وديع البستاني صاغه على شكل أبيات شعرية بلسان أمين الحسيني:

يا أخا العرب اتئد حكما ولا تعجلّن باللوم إن أمَرَ بَدَرْ
إنْ علَتْ جامعة عبرية فوقَ رأس الطُّور تلهو بالعِبَر
ولئِنْ راحَتْ يد واضعة حجراً أو سُودَ أو كان أغر

أترى ترفعها أقوالنا ذاك بيتُ الشعرِ لا بيتُ الحجر
فدَعْ القول أخا العرَب وخذ معولاً وابن معي مجد عُمَر

ومضى الشاعر بعد ذلك يحذّر من الخطر الذي سيترتب عليه إنشاء هذه الجامعة في القدس، ويستذكر مجد عمر ابن الخطاب الذي افتتح القدس، وحررها من الصليبيين ويدعو العرب إلى تكوين جيش قوي ينتصرون به على أعدائهم. وقد اقتربت المسافة بين الشاعر والقدس في قصيدته هذه، حيث كان مبصراً لما يفعله الأعداء في فلسطين والقدس، ويحّدق فيما يحدث حوله، دون أن يشير إلى الحدث فقط.

ثالثا: الثورات الفلسطينية

تجلت صورة القدس في شعر وديع البستاني بشكل جلي في موقفه من الثورات الفلسطينية ضد الانتداب واليهود. فكما نعلم منذ أن دخل الإنكليز فلسطين عام ١٩١٨م، وأعطى بلفور الوعد المشؤوم لليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين العربية، رفض العرب الانتداب، فضلاً عن رفضهم لخطط الصهيونية وأطماعها في فلسطين وطالبوا بجلاء الإنكليز والاستقلال لكن المؤامرة استمرت. ومن هنا أخذت تتوالى على هذه البلاد المظاهرات والحوادث والثورات وأهمها ثورة البراق في ١٩٢٩/٩/٢٣م وثورة الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥م، وثورة ١٩٣٦-١٩٣٩م، ثم حرب ١٩٤٨م واستشهاد عبد القادر الحسيني في القسطل، ومذبحة دير ياسين، والتي نتج عنها احتلال اليهود لمعظم الأراضي الفلسطينية وتشريد غالبية سكانها إلى الأراضي العربية المجاورة. (عطوات، ٢٠٠٣، ٢٩٨) ولقد واكب الشعر الفلسطيني هذه الأحداث، وكان الشعراء الفلسطينيون ينبهون إليها قبل وقوعها، وهذا دليل على استشراف المستقبل المليء بالمآسي.

ومن الخصائص التي تفرد بها وديع البستاني استشرافه الخطر الصهيوني والنوايا البريطانية الحقيقية بالنسبة للوطن القومي اليهودي والإخلاف بالوعود للعرب مبكراً في حين كان آخرون لا يزالون يتزلفون لبريطانيا ويأملون فيها الخير كل الخير. (حداد، ١٩٨١، ١١٢) فعندما قامت جماهير الشعب بمظاهراتها عام ١٩٢٠ حمل وديع على الاكتاف والجماهير تردد وراءه: (البستاني، ١١٣ – ١١٤)

يا للنصارى والمسلمين لمن تركتم فلسطين
نمتم فقوموا باسم الدين
هذي بلادي أم البلاد مثوى أجدادي والأحفاد
ما للأعادي فيها زاد
قدست أرضا روحي فداها ولست أرضى لي سواها
أموت فرضا في هواها
ربي موحد دين صحيح والارض معبد للتسبيح
يا قوم أحمد والمسيح

ورفض أيضاً محاولة اليهود الاستيلاء على حائط البراق، فقد كانت مشكلة البراق أحد أسباب ثورة ١٩٢٩م، والتي كانت المقدمة لها في شهر أيلول سنة ١٩٢٥م، حيث حاول اليهود جلب الكراسي والمقاعد إلى البراق بحجة جلوس الطاعنين في السن والعجزة، مما أثار حفيظة المسلمين، وأدى هذا إلى صدور قرار من حكومة الانتداب البريطاني بمنع اليهود من جلب الكراسي والمقاعد. وهدأت الأمور نوعاً ما، لكن في ٢٤ أيلول سنة ١٩٢٨م وهو عيد الغفران عند اليهود، حاول اليهود وضع ستار عند البراق فأمرت الحكومة بإزالته، وعلى الأثر عقد مؤتمر إسلامي في القدس في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٨م برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، واتخذت قرارات عديدة. لعل أهمها إنشاء جمعية تعرف بجمعية حراسة الأماكن المقدسة. وبعد فترة هدوء نسبية، قام اليهود في يوم ١٤ آب ١٩٢٩م يوم عيد خراب الهيكل عندهم، بمظاهرة كبرى في تل أبيب، وعلت الأصوات بالهتاف الحائط حائطنا. وتوالت

الأحداث تباعا، وانتهت بإعدام بريطانيا لثلاثة فلسطينيين هم: عطا الزير، محمد جمجوم من الخليل، وفؤاد حجازي من صفد. (السفري، ١٩٣٧، ١٢٠ – ١٢٨)

وقد سجل لنا الشعر الفلسطيني الأحداث التي واكبت ثورة "البراق" ووقف الشعراء عندها يسجلون أحداثها ويرثون أبطال هذه الثورة القوية التي التصقت بالقدس. ونظم الشاعر وديع البستاني قصيدة "فتنة البراق": (البستاني، ١٨٢)

يا أخا الإيمان إيماني وهن فاقرأ القرآن لي محتسبا
أنت في الأقصى تصلي راكعاً وأنا في القبرِ أحنو الركبا
والورى عنك وعني انفلتوا ليحوطوا الناطِحَ المنتحِبا
وإذا ما آلم الأقصى البكا ورثى القبر له واكتئبا
فلقد سرهما من دمنا يا فلسطينهما ما شربا
نحن للأقصى وللقبر الندى كلما صاحا بنا واحربا
إن قطعنا ذنب الأفعى فمن في غدٍ يلحق رأسا ذنبا

فهو يؤكد على تلبية نداء الأقصى للدفاع عنه، فالشباب الفلسطيني مستعدون لبذل أرواحهم والاستشهاد فداء لفلسطين والمقدسات الاسلامية والمسيحية، مؤكدا على ضرورة قطع رأس الأفعى. وقد صور العديد من الشعراء الفلسطينيين هذه الثورة – ثورة البراق – وما نتج عنها من استفزاز لمشاعر الفلسطينيين.

ولعل الثورة الكبرى في فلسطين التي ابتدأت عام ١٩٣٦ من أكثر الثورات التي حظيت باهتمام الشعراء الفلسطينيين، والتي كانت من الشمول بحيث عمت جميع ارجاء فلسطين، واستمرت اكثر من ثلاث سنوات متوالية، والتي بدأت باضراب طويل استمر ستة اشهر متوالية، متحدين بذلك بطش السلطات المحتلة وممارساتها التعسفية ضد الشعب، وثاروا على جميع القوانين الانجليزية. (أبو شاور، ٢٠٠٣، ١٣٥) والتي سجلها البستاني في قصيدة " ثورة فلسطين " مستثيرا نخوة الحكام العرب بضرورة حث همم الشعوب العربية بضرورة مساندة الشعب الفلسطيني في ثورته: (البستاني، ٢٢٩ – ٢٣٠)

خطب يعم ولما يغضب العرب الله أكبر بعد اليوم إن غضبوا
يا ابن الحسين يا مفتي الديار إلا فتوى تسير بها الركبان والنجب
سبعون يوما على الاضراب قاطبة بالعز ما أكلوا بالعز ما شربوا
إن فاتهم صلب عيسى بعدما حكموا فاليوم قد حكموا حكما وقد صلبوا
أين الحسين ترى عيناه ثورتنا والنفس منه مع الثوار تضطرب
ما ثورة القدس إلا بنت ثورته في مكة انه أم لها وأب

ومن القضايا التي ركز عليها البستاني في شعره حرصه على تأكيد الأخوة بين المسلمين والمسيحيين ففي ذكرى المولد النبوي عام ١٩٢٣، حاولت بريطانيا المناورة كعادتها، حيث اقترحت من جديد اقامة "الوكالة اليهودية" حلاً لمشكلة فلسطين، فيرفضها الوفد الفلسطيني الثالث الذي كان الشاعر – وديع البستاني– (حداد، ١٩٨١، ١١٦) عضوا فيه وسكرتيراً له: (البستاني، ١٥٥):

أجل عيسوي واسألوا الأمس والغدا ولكن عروبي يحب محمدا
بلى يا ابن عبدالله يا سيد الورى أنا عبد عيسى مكرم منك سيدا
هو العيد يوم شرف الدهر كله وثاه على الأيام مجدا وسؤددا
الى النجم أعلى الفاتحون منارها وباسمك كان الفتح ياعلم الهدى
وما دخلوا دار العروبة عنوة ولكنهم مدوا فمدت لهم يدا

فهو يؤكد على ضرورة الوحدة المسيحية الاسلامية من أجل دحر الانتداب، وعدم السماح له بتمكين الصهاينة في فلسطين.

وختاما نستطيع القول، إن الشاعر وديع البستاني يعتبر رائدا للشعر الفلسطيني في عهد الانتداب وذلك للأسباب التالية: السبب الأوّل: "أنّ البستاني اتصل بالقضية الفلسطينيّة منذ شهر تشرين الثاني .1917وهو الشهر الذي في ثانيه صدر تصريح بلفور واعدا اليهود بالوطن القومي في فلسطين. ومنذ ذلك التاريخ كرّس نفسه وقلمَه لمناصرة الشعب الفلسطيني وقضيته". السبب الثاني: " أن وديع البستاني يُمثّل المرحلة الأولى من عهد الانتداب، بل يُمكن القول إنّه يمثّل طور الانتقال في الشعر الفلسطيني من الشعر التقليدي إلى الشعر التجديدي في الثلاثينيات والأربعينيات."(جبران، ٢٠٠٦، ٢٩ –٣١) والسبب الثالث: " أن البستاني يمثّل الجيل السابق على الشعراء الفلسطينيين الآخرين، وهو أوّل مَن تنبّهَ إلى حقيقة الانتداب البريطاني ووعد بلفور".(جبران، ٢٠٠٦، ٣٢ –٣٣)

فالبستاني ظاهرة نبيلة في تاريخ الشعر العربي الحديث عامة. إنّه امتداد "الحلم العربي" في كتابات المفكرين والأدباء العرب، روّاد الفكر العربي الذي أخذ يتنامى منذ أواسط القرن التاسع عشر بشكل ملحوظ، الحلم العربي بإقامة دولة عربيّة موحدة أساسها الرابطة القومية، دونما فَرق بين دين وآخر أو فئة وأخرى، تحقيقا للشعار القومي المعروف " الدين لله والوطن للجميع .وقد وهب البستاني فلسطين الكثير من شعره وفكره ونشاطه السياسي والقضائي، فذلك لأنّه اعتبرها قضيّة عربية قوميّة بل القضية القومية الأولى (جبران، ٢٠٠٦، ٣٤)

لذلك نراه يلوم جامعة الدول العربية، التي لم ترد القدس في بنودها الرئيسية، في إطار عتابه خير الدين الزركلي عام ١٩٤٥، إذ يقول:

أجامعة وما للقدس فيها سوى الذيل المعلق بالبنود

وما معنى العروبة في حماها وفي قلب الحمى وطن اليهود

لكن ما يميز شعره من ناحية أسلوبية هو أن شعر المناسبات واضح في ديوانه. وأسلوب قصائده تقليدي يسير فيه على نهج الكلاسيكيين الجدد، القصيدة عنده تعبير أدبي عن المناسبة القومية أو الاجتماعية، تابعة لها، منفصلة انفصالا يكادُ يكون تاما عن ذات الشاعر. إنها وسيلة لتوصيل الأفكار والمواقف إلى المُتلَقي. ولهذا فهي أقرب إلى المباشرة والخطابية الممتزجة بنغمات الحزن والأسى لكنها لا تخلو من الثقة والتفاؤل بحركة التاريخ.

الخاتمة

وهكذا يَتَبين لنا أن فلسطين والقدس كانتا من أولويات الشاعر وديع البستاني. وقد تجلت صورة القدس في شعره، ضمن الحديث عن الواقع المؤلم الذي عَاشته فِلسطين في تلك المرحلة. فقد ظَل ذِكر القدس يَرِد لَماماً هُنا وهُناك في شعره ذلك أن القضية في رأيه ليست قَضية المسجد الأقصى وكنيسة القيّامة، بِقَدر ما هي قضية الأرض ذاتها التي يَقوم فوقها هذان الأَثران الدِّينيان. وربما كانت قضية الأرض من أهم القضايا التي وَقف عِندها طويلاً بِوَصفها امتداد الإنسان في المكان، ووعي الإنسان لنفسه بوصفه امتداداً لها في الزمن.

وامتازت شخصية البستاني بالحب الصادق لفلسطين، وهو يعتبر من أوائل من تصدوا للانتداب البريطاني على فلسطين بالمظاهرة والاعتصام والنشاطات السياسية. وتجلت صورة القدس في شعر وديع البستاني بشكل جلي في موقفه من الثورات الفلسطينية ضد الانتداب واليهود.

ومن الخصائص التي تفرد بها وديع البستاني استشرافه الخطر الصهيوني والنوايا البريطانية الحقيقية بالنسبة للوطن القومي اليهودي والإخلاف بالوعود للعرب مبكراً. فقد حركت القضية الفلسطينية بكل مراحلها مشاعره وذهنه، وجعلته يفرغ جل وقته من اجل خدمة هذه القضية، خاصة كل ماله علاقة بالأرض.

المصادر والمراجع:

١- البستاني، وديع (١٩٤٦) ديوان الفلسطينيات. د.م

٢- جبارة، تيسير (١٩٨٥) وثائق فلسطينية في دور الأرشيف اليهودية، الوثيقة السابعة والأربعون. دار البيادر– القدس.

٣- جبران، سليمان (٢٠٠٦) نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب .سلسلة منشورات الكرمل ٩. جامعة حيفا.

٤- حداد، يوسف (١٩٨١). وديع البستاني اللبناني الماروني المقاتل دفاعا عن عروبة فلسطين. مجلة شؤون عربية مصر العدد الرابع.

٥- الدباغ، مصطفى (١٩٧٥) موسوعة بلادنا فلسطين بلادنا فلسطين. بيروت. الجزء العاشر– القسم الثاني.

٦- زعيتر، أكرم (١٩٦٥). القضية الفلسطينية. دار المعارف، مصر.

٧- السفرى، عيسى (١٩٣٧) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية. منشورات صلاح الدين – القدس

٨- أبو شاور، سعدي (٢٠٠٣). تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر. المؤسسة العربية، بيروت. ط١.

٩- العابدي، محمد (١٩٧٢) قدسنا.د.م عمان.

١٠- العارف، عارف.(١٩٩٩) المفصل في تاريخ القدس. القدس، ط٥

١١- العامري، محمد (١٩٧٤) عروبة فلسطين في التاريخ. بيروت، دار الطليعة.

١٢- أبو عرفة، عبد الرحمن (١٩٨٥). القدس تشكيل للمدينة. جمعية الدراسات العربية، القدس

١٣- عطوات، محمد(١٩٩٨) الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني من ١٩١٨–١٩٦٨. بيروت، دار الآفاق الجديدة. ط١

١٤- الغوري، اميل (١٩٧٣) فلسطين ستين عاماً. الجزء الأول، ١٩٢٢–١٩٣٧، دار النهار، بيروت

١٥- الفحل، محاسن ونائبي، آمنة (٢٠١٤). مفهوم السباعيات لدى الشاعرين وديع البستاني وعيسى البي النيجيري. مجلة العلوم الانسانية، (٠٢) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

١٦- الكيالي، عبد الرحمن (١٩٧٥)الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين. المؤسسة العربية. بيروت. الطبعة الأولى.

١٧- الكيالي، عبد الوهاب (١٩٧٣) تاريخ فلسطين الحديث. د.م، بيروت.

١٨- النتشة، رفيق (١٩٨٤) تاريخ مدنية القدس. الرياض.

١٩- ياغي، عبد الرحمن (١٩٨١). حياة الأدب الفلسطيني الحديث. دار الآفاق الجديدة. بيروت ط٢

٢٠- ياسين، صبحي (١٩٧٦) الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ١٩٣٦–١٩٣٩م. دار الكتاب العربي، القاهرة.